ورفض الاقرار بوحدة التبادل اللبناني امر له دلالة · فبين الشماليين وسوريا روابط اقتصادية تمر عبر حمص ، والشماليون في معدلهم العام اقل اللبنانيين شعورا بلبنانيتهم (رغم وجود الارز في الشمال) ·

والشماليون ، رغم خلافاتهم واختلافاتهم ، يلتقون على هذا القاسم المشترك· فمسلموهم هم آخر من اعترف بـ « لبنان الكبير » ، وعديدة هي التظاهرات التي خرجت في مدينة طرابلس صارخة ان الدم هو بديل الوحدة مع سوريا ·

ومعروفة هي تحفظات زعماء السنة في بيروت على عبد الحميد كرامي ، زعيم طرابلس التاريخي ، بوصفه رجلا مشاكسا ومزايدا في عروبته واسلامه ·

وفي طور لاحق تحولت طرابلس الى رمز من رموز الناصرية في الوطن العربي ، (حتى ان الملك حسين حين زارها بعد حرب ١٩٦٧ ، استقبل بأصوات تهتف بحياة القائد الراحل كأنه هو الضيف الزائر ، وكان الحسين انذاك على علاقة ودية مع جمال عبد الناصر · والامر نفسه حصل في بعلبك بالبقاع) ·

واذا جاز للبعض ان يضرب بسنة بيروت مثلا على الاستعداد للمساومة السياسية ، فهذا لا يجوز بالنسبة لسنة طرابلس · لان سنة بيروت استفادوا بمعنى ما من توسع مدينتهم في ظل الدولة اللبنانية واقتصاد الخدمات ، لكن سنة طرابلس ، وهذا ما ينطبق ايضا على سنة صيدا ، دفعوا الاكلاف الاولى لنمو العاصمة من جيب المدينتين السنيتين الاخريين ·

فالتجارة في طرابلس ملحقة بالتجارة في بيروت ، والجامعة اللبنانية التي انشئت قبل نيف وعقدين من الزمن في العاصمة ، لم تمتد الا مؤخرا ، وبصورة مشوهة ، الى العاصمة الثانية · ومقابل التمركز الثقافي الغربي في بيروت ، عرفت طرابلس كلية اسلامية وحيدة مصدرها مصر ·

وموارنة الشمال ، هم بالمعنى السائد للبنانية غير لبنانيين ايضا · وما كان بمستطاع سليمان فرنجية ، رئيس الجمهورية الوحيد الذي قدم من الشمال ، ان يصير رئيسا للجمهورية لولا الاستقطاب الاستثنائي الذي عرفته سياسة الجبل في نهاية عهد شارل حلو ·

وسليمان فرنجية الذي خرق القانون العام للسياسة اللبنانية ، لم يستطع ان يخرق « الحضارة الطائفية » المميزة لمارونية الجبل ، وان يكسب المصداقية الحضارية التي يفترض ان تتوفر في رئيس جمهورية لبنان ·

فسلوكية العشيرة ، لا سلوكية الطائفة الرأسمالية هي سلوكية فرنجية ، فهو كان عاجزا عن التوفيق بين كونه رئيس جمهورية في بلد الطوائف والمؤسسات الطائفية وبين كونه حامي الحمى ·